ولا تُرك نيئًا فينتفع به . وأما أنت ، يا مخبل ، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم ، وأما أنت ، يا عَبْدة ، فإن شعرك كمزادةٍ أحكِم خرزها فليس تقطر ولا تُمطر . (١)

وتبدو أحكام ربيعة – هنا – عامة مُطْلَقَة ، ومع ذلك فيها لون من النقد الذي أخذ يتحدَّد في هذه البيئة الجاهلية ، فكان يميل إلى الارتباط بالنواحي اللُّغوية من حيث اختيار الكلمة ودقتها في موضعها ، وكان يميل إلى تلمُّس النواحي الجمالية في شكل عفوي ، دون وجود نظرية مكتمِلَة أو شبه مكتملة ، يَعتمد عليها الناقد فيما ينقد .

وقد كان النابغة الذُّبياني يجلس مجلسَ القاضي في قُبة حمراء بسوق عكاظ ، ويأتيه الشعراءُ يحتكمون إليه ، ففضَّل الأعشى على حسّان ، وفضَّل الخنساءَ على بنات جنسها ، فثار حسان ، وقال : إنا والله أشعر منك ومنها ، واحتجَّ لهذه الأفضليَّة بقوله :

لَنا الجفناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى وأسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمــا

ولَدْنا بني العَنْقاءِ ، وَابْنَيْ مُحَرِّقٍ فَأَكْرِمْ بِنا خالا ، وأَكْرِمْ بِنا ابْنَما

فانتقده النابغةُ من جهتين : أولاهما – تتَّصل بالصِّياغة واختيار مفرداته اللُّغوية ؛ حيث قال : (الجفَنات) وهو جمع يدل على القِلَّة ، ومجال الفخر كان يقتضيه إظهار الكثرة ، مبالغة في الكرم بأن يأتي بجمع التكسير (الجِفان) ، كما عاب عليه قوله : (يلمَعْنَ بالضحى) وأحسنُ منه أن يقول : (يَبْرقن بالدُّجى) ؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا ، وأيضًا قوله : (يقطرن

(١) داود سلوم : النقد العربي القديم . ط ٣ بغداد ، الأندلس ، ١٩٧٩ . ص ١٣ ، ١٤ .